مجلة تسليم
Journal Homepage: https://tasleem.alameedcenter.iq
ISSN: 2413-9173 (Print) ISSN 2521-3954 (Online)

خِطَابُ المَجَازِ فِي أَقْوَالِ الإِمَامِ الحُجَّةِ ﷺ: مُقَارَبَةٌ فِي الأَدَوَاتِ الإِقْنَاعِيَّةِ

فاطمة حسين شحاذي [١]

١ الجامعة اللُّبنانيَّة / كلِّيَّة الآداب والعلوم الإنسانيَّة / قسم اللُّغة العربيَّة، لبنان؛

fatimachhadi.sc@gmail.com

دكتوراه في اللُّغة العربيَّة / مدرِّس

تاريخ التسلّم	تاريخ القبول	تاريخ النشر
٢٠٢٤/٤/١٨	٢٠٢٤/٦/٤	٢٠٢٤/١٢/٣١

المجلـد (٢٠) العـدد (٣٢)
جُمَادَى الآخرة ١٤٤٦هـ . كَانُون الأَوَّل ٢٠٢٤ م

DOI:
10.55568/t.v20i32.97-126

مُلَخَّصُ البحْث:

تقف الدّراسة على جلاء ما تضمَّنه خطاب المجاز في أقوال الإمام الحجَّة ﷺ من طرائق تعبيريَّة متنوِّعة رامت إقناع المُخاطَب بما يريد، وحمْله على التّصديق والإذعان به، أو ثنيه عمَّا هو عليه، ومن ثَمَّ استمالته للإقرار بصواب دعواه وصدق رأيه، ودحض الأفكار الفاسدة وتقويم الاعوجاج في المفاهيم والمعتقدات والسّلوك.

هدفت الدّراسة إلى استجلاء الأدوات الإقناعيَّة في أقوال الإمام الحجَّة المُنتظر ﷺ الَّتي اصطبغت بصبغة تواصليَّة إقناعيَّة، وبيان أثرها في بناء المعنى، لما لخطب المجاز لديه من مقوِّمات بنائيَّة وأسلوبيَّة توضيحيَّة؛ وقد رام ﷺ إقناع المتلقِّي بأساليب إقناعيَّة عزفت على مُخاطبة الجانبيْن الوجدانيّ العاطفيّ، والعقليّ المنطقيّ لديه؛ لاستمالة مشاعره وعواطفه من جهة، ودفعه لإعمال العقل والتّدبُّر والتّأمُّل من جهة أخرى، بالتركيز على وظيفة اللُّغة التأثيريَّة، الَّتي تمثَّلت براعة في الأسلوب وجودة في التعبير، وقدرة على الغوص في بواطن الأشياء، واستجلاء حقائق الأمور.

اتّخذت الدراسة من المنهج الوصفيّ التّحليليّ التداوليّ سبيلًا لها، لبيان أدوات الإقناع في أقوال الإمام الحجّة ﷺ: أنواعها، ودلالاتها، وتأثيرها بالمتلقِّي على المستويْن العاطفيّ والعقليّ، ولكشف الأساليب اللُّغويَّة الفنِّيَّة البلاغيَّة، ما يُتيح الإبانة عن قيمة أقواله وأهمِّيَّتها ودلالتها، وأسرار نظمها وصياغتها التداوليَّة.

Figurative Discourse in Sayings of Imam Al-Hujjah: Approach to Persuasive Devices

Fatima Hussein Shehathi [1]

1 Lebanese University /Faculty of Arts and Humanities /Department of Arabic, Lebanon;

fatimachhadi.sc@gmail.com

PhD. in Arabic Language/ Lecturer

Received:	Accepted:	Published:
18/4/2024	4/6/2024	31/12/2024

DOI: 10.55568/t.v20i32.97-126

Volume (**20**) Jumada Alakhirah 1446 AH.
Issue (**32**) December 2024 AD

CC BY NC

Abstract:

This study focuses on the figurative language in the sayings of Imam al-Hujjah (p.b.u.h.) and showcases various expressive methods to convince the audience of his intended message, persuade them to believe and accept it, or to turn them away from their current views. Moreover, it seeks to gain their acknowledgment of the correctness of his claims and the truthfulness of his opinions, while refuting false ideas and rectifying misconceptions in beliefs and behaviours.

The study aims to explore the persuasive techniques in his sayings, which were imbued with a communicative and persuasive tone, and to highlight their impact on meaning construction. The figurative language in his speeches is marked with structural and stylistic elements of clarity. He sought to persuade the audience through methods that appealed to both their emotional and rational sides—stirring their feelings and emotions on one hand, while prompting them to engage their intellect, reflection, and contemplation on the other. It emphasizes the influential function of language and demonstrates the eloquence of his style, excellence of expression, and his ability to delve into the depths of matters and uncover their true essence.

It adopts a descriptive-analytical and discursive methodology to identify those techniques in the sayings of the Imam, their types, implications,

and effects on the audience at both emotional and rational levels. It also aims to exposes the artistic and rhetorical linguistic techniques and to allow a comprehensive understanding of the significance, value, implications of his words, the intricacies of their structure and discursive style.

The study falls into an introduction and two main sections. The first section provides a conceptual and theoretical overview of discourse and its persuasive techniques; strategies and objectives, a brief account of his noble biography. The second section offers an applied approach to the techniques and includes three principal themes.

Keywords: discourse, metaphor, techniques, persuasion, Imam Mahdi (p.b.u.h.), pragmatics.

اقتضت طبيعة الدّراسة أن تأتي في مقدِّمة، ومبحثيْن؛ قدَّم المبحث الأوَّل مُقاربة مفاهيمَّة ونظريَّة (للخطاب وأدواته الإقناعيَّة: إستراتيجياتها وأهدافها)، فضلًا عن وقوف على سيرة الإمام العطرة، يليه المبحث الثاني، الَّذي قدَّم مُقاربة تطبيقيَّة لأدوات الإقناع في أقوال الإمام ﷺ، مُوزَّعًا على ثلاثة مطالب رئيسة.

الكلمات المفتاحيَّة: خطاب، المجاز، أدوات، إقناع، الإمام المهدي عجل الله فرجه، التداوليَّة.

المُقدِّمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصّلاة والسّلام على أشرف الأنبياء والمُرسلين، نبيِّنا وسيِّدنا مُحَمَّد عليه وعلى آله الأطهار أفضل الصّلاة وأتمّ التسليم، أمَّا بعد..

انطلاقًا من مقولة: "إنَّنا نتكلَّم بقصد التأثير"، حاولنا في دراستنا أن نُبيِّن وظيفة اللُّغة التأثيريَّة الحجاجيَّة، بوصفها أداة للتواصل بين الناس، وهذه المزيَّة منحتها قيمة خاصَّة؛ فهي بقدر ما تؤدِّي غرضها التواصليّ والإفهاميّ، بقدر ما تتحدّد قيمة التواصل الإنسانيّ.. إذ لا بدَّ أن تكون اللُّغة المستعملة مؤثِّرة أو مُقنعة، أو بمعنى آخر تستند إلى **النّزعة العاطفيَّة لدى المرسَل إليه**، لتترك بصمة في وجدانه وعواطفه، وإلى **النزعة العقليَّة** تمنح المتلقِّي فرصة للتفكُّر والتدبُّر.

إنَّ الحديث عن وظيفة اللُّغة، يُؤسِّس لفكرة البحث الَّتي انطلقنا منها، وهي مُقاربة الأدوات الإقناعيَّة في خطاب المجاز، بحسبانها تهدف إلى استمالة عاطفة المتلقِّي وفكره، بالاعتماد على **فنِّيَّة اللُّغة ووظيفتها الإبداعيَّة المجازيَّة الجماليَّة**.

اتَّخذ إمام عصرنا الحجَّة المُنتظر ﷺ من الخطاب الدّينيّ وسيلة للإقناع والتأثير في المتلقّين – مؤمنين كانوا أم كافرين- بقصد استمالتهم إلى طريق الحقِّ والهداية، وتحذيرهم من عواقب الضلال، وقد أنتجت أقواله قيمًا ذات أبعاد معرفيَّة وتربويَّة وإصلاحيَّة، بتوظيفها الأدلَّة البرهانيَّة الَّتي تطمْئِن القلوب وتذعن العقول، حتَّى غدت نمطًا تعبيريًّا خاصًّا، استند إلى لغة ثرَّة في أنساقها وتراكيبها، وبلاغتها ودلالتها.. ومن ثمَّ، بات البحث في خطبه المجازيَّة بما حوته من أدوات إقناعيَّة ضرورة، للوقوف على أسرارها وخباياها، ما يُتيح الكشف عن أبعادها الدّلاليَّة والتداوليَّة.. لذا، جاء مقالنا الموسوم بعنوان: **"خطاب المجاز في أقوال الإمام الحجَّة ﷺ: مقاربة في الأدوات الإقناعية"**.

أهمِّيَّة الدراسة

تكمن أهمِّيَّة الدراسة في وقوفها على أدوات الإقناع في خطاب المجاز للإمام الحجَّة ﷺ، إذ غدت أساليب تواصليَّة فاعلة، متنوِّعة مقامًا وسياقًا، ما جعلها وسيلة استمالة وتأثير،

تُخاطب القلب مرَّة فتحاكي آماله وآلامه ومشاعره، وتُخاطب العقل مرَّة أخرى فترشده إلى طريق الهداية لإعمال الفكر والنّظر والتفكير في الخالق والخلق واستنطاق قيم الحقِّ والهداية، بلغة حوت ما حوته من بلاغة القول وفنونه البيانيَّة.. ما حوّل **خطبه إلى منظومة تواصليَّة بالغة التأثير**.

أسئلة الدّراسة

تنطلق الدراسة من إشكاليَّة جوهريَّة هي: "**ما أبرز الأدوات الإقناعيَّة الَّتي وظَّفها الإمام الحجَّة عجل الله فرجه في أقواله؟ وكيف أسهم خطاب المجاز لديه في بيان أبعادها الحجاجيَّة النفسيَّة والعقليَّة؟**"، وتتفرَّع منها عدّة أسئلة فرعيَّة، نذكر بعضًا منها:

١. ما أبرز أدوات حجاج الحقّ في مُواجهة الباطل في أقوال الإمام الحجَّة عجل الله فرجه؟ وما أبعادها الدّلاليَّة؟

٢. ما أبرز أدوات الحجاج الَّتي دعت إلى وحدة المؤمنين وإلى انتظار الظّهور في أقواله؟ وما أبعادها الدلاليَّة؟

٣. ما أبرز أدوات حجاج الدّعوة إلى الصلاح والتقوى وتطهير النفس في أقوال الإمام الحجَّة عجل الله فرجه؟ وما أبعادها الدلاليَّة؟

منهج الدراسة

استندت الدّراسة إلى **المنهج الوصفيّ التحليليّ التداوليّ**، الَّذي تمثَّلت خطواته في ما يأتي:

1. رصد أدوات الإقناع في بعض أقوال الإمام الحجَّة عجل الله فرجه، وبيان دورها التأثيريّ (العاطفيّ والعقليّ) في المتلقِّي.
2. بيان الأدوات اللُّغويَّة والأساليب البلاغيَّة والفنِّيَّة للكشف عن أثرها في بناء بنية خطاب المجاز في أقوال الإمام المهديّ عجل الله فرجه الحجاجيَّة.

خطَّة الدراسة

اقتضت الدراسة أن تأتي في مقدِّمة، ومبحثيْن، وخاتمة؛ أمَّا المبحثان فقد اشتملا على المطالب الآتية:

المبحث الأوَّل: مفاهيم تعريفيَّة ونظريَّة:

المطلب الأوَّل: الخطاب المجازيّ والأدوات الإقناعيَّة:

المطلب الثاني: أدوات الإقناع: إستراتيجيَّاتها وأهدافها:

المطلب الثالث: شيء من السيرة العطرة: الإمام المهدي عليه السلام.

المبحث الثاني: دراسة تطبيقيَّة لأدوات الإقناع في أقوال الإمام المهدي عليه السلام.

المطلب الأوَّل: حجاج الحقِّ في مُواجهة الباطل.

المطلب الثاني: حجاج الدّعوة إلى الوحدة في وجه دعاة التّفرقة، وانتظار الظهور.

المطلب الثالث: حجاج الدعوة إلى الصلاح والتّقوى وتطهير النفس

المبحث الأوَّل: مفاهيم تعريفيَّة ونظريَّة

المطلب الأوَّل: الخطاب المجازيّ والأدوات الإقناعيَّة:

أوّلًا: الخطاب لغة: من مصدر "خطب"، وهو الكلام بين اثنيْن؛ إذ يُقال: خاطبه، يُخاطبه خطابًا، والخطبة: الكلام المخطوب به[١].

وجاء في لسان العرب: "خطب: الخطب: الشأن أو الأمر، صغر أو عظم؛ وقيل: هو سبب الأمر. يقال: ما خطبك؟ أي: ما أمرك؟ وتقول: هذا خطب جليل، وخطب يسير. والخطب: الأمر الَّذي تقع فيه المخاطبة، والشأن والحال؛ ومنه قولهم: جلَّ الخطب أي: عظم الأمر والشأن"[٢].

واصطلاحًا: نورد ما أورده المفكِّر مُحَمَّد الجابريّ الَّذي عرَّف الخطاب بأنَّه "بناء من الأفكار يحمل وجهة نظر، أو هو هذه الوجهة من النظر مصوغة في بناء استدلاليّ.. يعكس قدرة صاحبه على احترام تلك القواعد.. بالصورة الَّتي تجعلها تؤدِّي مهمَّة الإخبار والإقناع"[٣]، وهو بذلك يركِّز على قصديَّة الخطاب المتمثِّلة في إقناع الآخر والتأثير به.

---

١ ابن فارس، أبو الحسين أحمد. مقاييس اللغة، تحقيق. عبد السلام محمد هارون، د.ط. (بيروت، لبنان: دار الفكر، ١٩٧٩)، ٢/ ١٩٨.

٢ ابن منظور، لسان العرب، د.ط(بيروت: دار صادر، د.ت.)، مادة حطب: ٥/ ٩٥.

٣ الجابري، محمد عابد. الخطاب العربي المعاصر، دراسة تحليلية نقديّة، د.ط.، د.ت.، ١١.

وللخطاب بنية دلاليَّة منها "يُختزل موضوع الخطاب، ويُصنَّف الإخبار الدلاليّ للمتتاليات ككل"[٤]، إذ لكلٍ خطاب بنية حجاجيَّة كُلِّيَّة، لها فاعليَّتها المُرتبطة بكفاءة منهجيَّة المحاجج في صوغ خطَّته القوليَّة..

ثانيًا: المجاز لغة: جاء في لسان العرب: المصدر (جوز) أي "جوز: جزت الطّريق، وجاز الموضع جوزًا وجئوزًا وجوازًا ومجازًا وجاز به، وجاوزه جوازًا وأجازه وأجاز غيره، وجازه: سار فيه وسلكه، وأجازه: خلفه وقطعه، وأجازه: أنفذه"[٥].

واصطلاحًا: يُعرَّف المجاز بوصفه "اللَّفظ المُستعمل في غير ما وُضع له أوَّلًا في اللُّغة، لما بينهما من تعلُّق"[٦]، كما أنَّه "مأخوذ من جاز من هذا الموضع إلى هذا الموضع"[٧].

ثالثًا: الأدوات الإقناعيَّة:

الإقناع لغة: عرَّف ابن الأثير الإقناع، بأنَّه من مصدر (قنع)، وهو يدلُّ على الإقبال على الشّيء وهو الإقناع[٨]، وأقنعه الشّيء أي أرضاه[٩]، وقد جاء في لسان العرب، قنع: أي الرّضا بالشيء[١٠]، ما يعني أنَّ الإقناع يحمل دلالة التأثير بالآخر.

واصطلاحًا: تعددّت المفاهيم والرؤى الَّتي بحثت مصطلح (الإقناع)، فقد عرّفه قديمًا الخوارزميّ بقوله: "الإقناع: أن يعقل نفس السّامع الشيء بقول يصدق به، وإن لم يكن ببرهان"[١١]، وعُرّف حديثًا بأنَّه استعمال "الكلمة المنطوقة والمكتوبة، والإشارات ولغة الجسم والحجَّة والمنطق للتأثير في اعتقادات المستقبلين وسلوكهم"[١٢]، وقيل أيضًا: هو "صرف ذهن الجمهور إلى تقبُّل ما يُقال، والسّكون إليه وإشباعه عاطفيًّا، وإرضاء عقله بالحجَّة والبرهان"[١٣]،

---

٤ خطابي، محمد. لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب (المركز الثقافي العربي، ١٩٩١)، ٤٢.

٥ ابن منظور، لسان العرب، مادة جوز: ٣/ ٢٣٩.

٦ هلال، هيثم . معجم مصطلح الأصول، ط١ (بيروت: دار الجيل، ٢٠٠٣)، ٢٧٧.

٧ ابن الأثير، ضياء الدين. المثل السائر في آداب الكاتب والشاعر، تحقيق. أحمد الحوفي وبدوي طبانة، ط٢ (الرياض: دار الرفاعي، ١٤٠٣)، ١٣١.

٨ ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة(قنع).

٩ الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تحقيق. التراث في مؤسسة الرسالة، ط٨ (بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، ٢٠٠٥)، مادة(قنع).

١٠ابن منظور، لسان العرب، ٨/ ٢٩٧.

١١الخوارزمي، محمد بن أحمد بن يوسف. مفاتيح العلوم، تحقيق. إبراهيم الأبياري، ط٢ (دار الكتاب العربي، د.ت.)، ٢٨٧.

١٢يعقوب، إبراهيم . الاتصال الإنساني ودوره في التفاعل الاجتماعي، ط١ (الأردن: دار مجدلاوي، ١٩٩٣)، ٢٦٣.

١٣درويش، محمد طاهر. الخطابة في صدر الإسلام " العصر الديني عصر البعثة الإسلامية،" ط٢ (مصر: دار المعارف، ٢٠٠٧)، ١٠.

ما يعني العلاقة الجدليَّة الَّتي تربط: **التأثير بالإقناع والتأثُّر بالاقتناع**، والاقتناع هو إعانة النفس لما يلقاه المرء من أدلَّة تتيح له بقدر كافٍ من الرجحان والاحتمال لتوجيه عمله[١٤]، فغاية الحجاج هو التأثير، إذ يُعدُّ الإقناع مقوّمًا أساسيًّا من مُقوِّمات الاتِّصال اللُّغويّ، ويتطلَّب إتقان فنّ القول والخطابة، والقدرة على إيراد الحجج والبراهين والاستدلالات والإشاريَّات، والأدلَّة اللُّغوية للوصول إلى مرحلة إقناع المتلقِّي واستمالته نفسيًّا وعقليًّا، لذا أكَّد أوستين فريلي (Austin Freely) أنَّ الحجاج والإقناع وجهان لعملة واحدة[١٥ ١٦].

وتتحقَّق غاية الإقناع عندما يحصل الاقتناع وهو "الرّضا بالشيء، بعد إفحام الخصم بالحجَّة، وهو إذعان النفس مرتكزًا على أدلَّة منطقيَّة وغير منطقيَّة مع خلوه من اليقين في دقَّته"[١٧].

أمَّا عن **الأدوات الإقناعيَّة**، فنقصد بها الأساليب المستعملة في سبيل صناعة الإقناع بين العقل والعاطفة، وهنا تتحدّد قيمة اللُّغة الَّتي تهدف إلى تحقيق الغرض الاتِّصاليّ والإفهاميّ.. ولتحقيق هذه الغاية لا بدَّ من أن تكون اللُّغة المستعملة مُؤثِّرة، وهذا يقتضي توظيف أدوات إقناعيَّة مُعيَّنة تقوم على الحجج والبراهين والأساليب التعبيريَّة والإستراتيجيَّات الخاصَّة.. منها ما يعتمد على إثارة **الجانب العاطفيّ- الانفعاليّ**، ومنها على إثارة **الجانب العقليّ المنطقيّ**، وهما معًا يعتمدان على **الجانب اللُّغويّ" البلاغيّ" الجماليّ**، وهذا ما سوف نفصِّله في المطلب الثّاني، قبل الولوج إلى الدّراسة التطبيقيَّة.

المطلب الثّاني: أدوات الإقناع: إستراتيجيَّاتها وأهدافها

يستعين مُنشِئ الخطاب بآليات وأدوات تُمثِّل إستراتيجيَّات أساسيَّة لتحقيق الهدف من رسالته القوليَّة، وهي من شأنها أن تؤدِّي إلى قبول المتلقِّي بما يُعرض عليه من أفكار مُعيَّنة والتسليم بها. ومن جهة ثانية، فإنَّ الغاية من الخطاب القوليّ الإقناعيّ تتعدّد وتختلف على وفق تنوُّع المواضيع الَّتي يعرضها منشئ القول، فضلًا عن اختلاف أهدافها؛ فهي قد تكون سياسيَّة، أو اجتماعيَّة، أو ثقافيَّة، أو دينيَّة.. وكلّ رسالة قوليَّة تقتضي توظيفًا خاصًّا لأداة إقناعيَّة

١٤ صليبا، جميل . المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٢)، ١١١.
١٥ محمد العبد، "النص الحجاجي العربي،" مجلة فصول للنقد الأدبي، العدد٦٠. ٤٥: (٢٠٠٢).
١٦ شارودو، باتريك و مانغو، دومينيك. معجم تحليل الخطاب، ترجمة. عبدالقادر المهيري وصمود حمادي، د.ط. (تونس: دار سيناترا المركز الوطني للترجمة، ٢٠٠٨)، ٤١٧_ ٤١٩.
١٧ السبعاوي، طه عبد الله محمد .أساليب الإقناع في المنظور الإسلامي، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥)، ١٥.

معيّنة.. هذا وقد تجتمع هذه الأنواع وتتداخل في خطاب قوليّ واحد، مع اختلاف طريقة عرضها وتناولها وأغراضها.. لذا، تسهيلًا للدّراسة نذكر إيجازًا، ثلاثًا من هذه الأدوات مع ذكر الغاية من توظيفها والأهداف الّتي تسعى إلى تحقيقها.

أوّلًا: أدوات إقناعيَّة نفسيَّة- عاطفيَّة

يستعين الخطيب بأدوات تُمثِّل تقنيَّات فاعلة لإثارة عواطف المتلقِّي وانفعالاته، وهي تهدف إلى **ملامسة مكامن الشعور والانفعال في النفس البشريَّة**، ما يُحقِّق غايتها في التأثير نفسيًّا به، وهي الغاية المنشودة من إطلاق القول، الّذي يغدو جوهره إقناع المتلقِّي عاطفيًّا بتوظيف خطاب فاعل ومؤثِّر بما يناسب مقاصد الخطيب وتوجُّهاته[١٨]، وهكذا، تتحقَّق غاية الخطاب في التأثير بالمتلقِّي بترك شعور ما لديه، بهدف: الترغيب، أو الترهيب، أو التخويف، أو الإعجاب..[١٩].

ثانيًا: أدوات عقليَّة- منطقيَّة:

وهنا يستعين منشئ القول بأدوات تستند إلى العقل وترتكز على الحجَّة والدليل، والتّسلسل المنطقيّ ما يُتيح الوصول إلى الغاية المنشودة.. والخطيب يهدف بالدّرجة الأساس إلى **تنشيط العمل العقليّ والإدراكيّ للمتلقِّي وتعديله**، مع "مراعاة مقام المتلقّي وحاله ومستواه العقليّ ووجدانه، وتدعيم القول بالأدلَّة والأمثلة الواقعيَّة، فهي مدخل العقل وهذا أنجع في الإقناع"[٢٠ ٢١].

ثالثًا: أدوات لغويَّة- بلاغيَّة جماليَّة:

للبلاغة بعد حجاجيّ إقناعيّ تأثيريّ، ومن ثُمّ فإنَّ "الصورة، تشبيها كانت أو مجازًا أو توريةً أو كناية تضطلع بمهمَّتين اثنتين: الإمتاع والإقناع في آن واحد"[٢٢]، كما أنَّ الصورة "

١٨ مصطفى، معتصم بابكر. من أساليب الإقناع في القرآن الكريم، نشر ضمن سلسلة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط١ (قطر، ٢٠٠٣)، ٣٨_ ٤٥.

١٩ بصل، محمد إسماعيل. "أدوات الإقناع العقلي والعاطفي: خطبة عبدالله بن يحيى زعيم الإباضية لما استولى على اليمن أنموذجا،" مجلة تشرين للبحوث والدراسات العلمية المجلد٣٩، العدد٦. ١٤٣_ ١٤٤ : (٢٠١٧).

٢٠ عكاشة، محمود . دراسة تطبيقية لأساليب التأثير والإقناع الحجاجي في الخطاب النسوي في القرآن الكريم، ط١ (القاهرة – مصر: دار النشر للجامعات، ٢٠١٤)، ٤٨.

٢١ بصل، "أدوات الإقناع العقلي والعاطفي: خطبة عبدالله بن يحيى زعيم الإباضية لما استولى على اليمن أنموذجا،" ١٤٤.

٢٢ ناصري، فضيل. "الحجاج في القرآن الكريم،" مجلة آفاق أدبية. العدد ١٥ ٢٦٦ : (٢٠٢٣).

تسهل الحجاج.. وتشارك هي نفسها في الحجاج، وتكاد الوظيفتان (الصورة والحجاج) تكونان متلازمتين، وهذا التلازم هو في العمق جوهر البلاغة"[٢٣] [٢٤]*.. ومن ثُمَّ فهي تهدف، إلى **توظيف الأدوات اللُّغويَّة بحمولتها البلاغيَّة والجماليَّة في سبيل الإقناع الحجاجيّ**[٢٥]، وهذا ما أكَّدته البلاغة الجديدة والحديثة معًا[٢٦]، الَّتي أضافت إلى القيمة الجماليَّة للبلاغة، قيمة إبداعية تتمثّل في تحقيق المتعة والمنفعة والقيمة الحجاجيَّة معًا[٢٧]، وكذلك "البلاغة التداوليَّة"** .. إذ تحمل الأدوات البلاغيَّة طاقة إقناعيَّة تأثيريَّة في المتلقّي.

المطلب الثالث: شيء من السّيرة العطرة: الإمام المهديّ عليه السلام

أوَّلًا: مولده وغيبته:

الإمام المهديّ (عجَّل الله تعالى فرجه الشّريف) الموعود، الملقّب: بإمام العصر، وصاحب العصر والزمان، هو ابن الإمام الحادي عشر عليه السلام، "الإمام الحسن بن عليّ العسكريّ عليه السلام، اسمه يطابق النبيّ الأكرم صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وُلد في سامراء سنة ٢٥٥ أو ٢٥٦ هـ. وكان يعيش تحت رعاية والده حتَّى سنة ٢٦٠هـ حيث استشهاد والده، وكان مختفياً عن أنظار العامَّة، ولم يفلح أحد بلقائه والاتِّصال به إلّا الخواصّ من الشّيعة. وبعد استشهاد والده، أنيطت به مهمَّة الإمامة، وبأمرٍ من الله تعالى، اختارَ الغيبةَ، ولم يظهرْ للعيان إلّا مع نوابه الخواصّ وفي موارد استثنائيَّة"[٢٨].

هذا وتنقسم غيبة الإمام الحجَّة عليه السلام على قسمين: الغيبة الصغرى، وقد بدأت سنة ٢٦٠هـ وانتهت في سنة ٣٢٩هـ، واستمرَّت ما يُقارب السبعين عامًا، والغيبة الكبرى " الَّتي

---

٢٣ العمري، محمد . البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، ط٢ (الدار البيضاء: أفريقيا الشرق، ٢٠١٢)، ٢٦.

٢٤ العمري، ٢٣_ ٢٤.

٢٥ السعيدي، بشار معلوف طعمة نعمة. "استراتيجيات الإقناع في رسائل نهج البلاغة: مقاربة في التأثير،" مجلة الدراسات المستدامة المجلد: (٢٠٢٣) .١٨٩١.

٢٦ بصل، "أدوات الإقناع العقلي والعاطفي: خطبة عبدالله بن يحيى زعيم الإباضية لما استولى على اليمن أنموذجا،" ١٤٥

٢٧ T٢، ed. (Paris Olivier Reboul، Introduction à La Rhétorique، ١٩٩٤)، ٣_ ٤.

٢٨ جمعية المعارف الإسلامية، "أمل الإنسان: الإمام المهدي عليه السلام في الفكر الإسلامي الأصيل" (بيروت، ٢٠١٦)، ٢٥، https: // books.almaaref.org /view.php?id=٤٥٩.

* وقد قسمها بدوره إلى أربعة أنواع: صور الكلمات، وصور المعنى/ المجازات، وصور التركيب، وصور الفكر. وكلها تؤدي دورها في الحجاج وإن كان بنسب متفاوتة

** تجمع بين البلاغة الجديدة التي أسس لها بريلمان، وهي تنظر إلى البلاغة بوصفها نظرية في الحجاج تسعى إلى إثارة النفوس والإقناع، والبلاغة الحديثة التي تعنى بالقيمة الجمالية للغة.

بدأت سنة ٣٢٩هـ، وستستمرّ حتَّى يأذن الله تعالى، ويروى عن النبيّ الكريم صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في حديث متَّفق عليه: **"لو لم يبقَ من الدنيا إلَّا يوم واحد لطوَّل الله ذلك اليوم حتَّى يبعث فيه رجلاً من أمَّتي ومن أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي يملأ الأرض قسطًا وعدلاً كما ملئت جورًا وظلمًا"**[٢٩] [٣٠].

ثانيًا: مناقبه وفضله:

وقد "ورد في مصادر العامَّة والخاصَّة أنَّ مقام الإمام المهدي ﷺ مقام عظيم عند الله سبحانه، فهو طاووس أهل الجنَّة، ومن سادتها، وأنَّه سيِّد في الدنيا والآخرة، وأنَّ الله تعالى يُجري على يديه كرامات وآيات ومعجزات عديدة عند ظهوره. ووردت في مصادر الشيعة كثير من الأحاديث المفصَّلة في الإمام القائم ﷺ، فهو حجَّة الله على الخلق، والقائم بالحقِّ، ونور الله في الأرض، وخليفة الله في أرضه، ومعدن علم الله ومستودع سرِّه، وشريك القرآن في وجوب الطاعة.."[٣١]، وقد روى أمير المؤمنين الإمام عليّ ابن أبي طالب ﷺ قوله: **"وتخرج له الأرض أفاليذ أكبادها، وتلقي إليه سلمًا مقاليدها، فيريكم كيف عدل السيرة، ويحيي ميِّت الكتاب والسنَّة"**[٣٢].

المبحث الثاني: دراسة تطبيقيَّة لأدوات الإقناع في أقوال المهدي ﷺ المجازيَّة

نعمد، في هذا المبحث، إلى بيان احتشاد أدوات الإقناع في أقوال الإمام المهدي ﷺ، بحسبان الحجاج غاية من غاياته يتوجَّه بها إلى عموم الناس، سواء أكانوا مؤمنين أم مشركين أم كفارًا.. لكشف ما تضطلع عليه من أدوار ووظائف تخلص إلى إحداث التأثير في المتلقّي لحمله على الاقتناع والإذعان للدعاوى المعروضة عليه، ومن ثُمَّ التسليم بنتائجها... ولأجل ذلك سنعمد إلى بيانها مجتمعة في كلِّ قول نتناوله، إذ قد يضمّ القول غير أداة إقناعيَّة يصعب فصلها..

---

٢٩ جمعية المعارف الإسلامية، ٢٦.

٣٠ ابن الصباغ علي بن محمد المالكي، الفصول المهمة، تحقيق. سامي الغريري، ط١ (قم: مؤسسة دار الحديث الثقافية، ١٤٢٢هـ)، ٢/ ٢٧١.

٣١ الشاكري، حسين . المهدي المنتظر، القسم الثاني، موسوعة المصطفى والعترة (١٧) (مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي ﷺ، ٢٠١٣)، https: / /m-mahdi.net /main /books-١٧٤.

٣٢ الشريف الرضي، محمد بن الحسين .نهج البلاغة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب(ع)، شرحه محمد عبدة مفتي (بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر، د.ت.)، الخطبة: ١٣٨.

ولا غرو أنَّ أقوال الإمام ﷺ بما هي خطاب مركزيّ، تثير في المتلقِّي قضايا عقديَّة وتحثُّه على الأخلاق، وتهدم الأفكار الدّاحضة والباطلة لديه، تظلّ خطابًا أيديولوجيًّا، استثمر فيها ﷺ طاقته التواصليَّة الحجاجيَّة الفريدة، موظِّفًا فيها المجاز والتصوير، بوساطة لغته الفريدة.. وقد استطاع أن يحجّ المتلقِّين لما امتلكه من ناصية القول.. ولنا في ذلك ذكر لبعض الشواهد تمثيلًا لأقواله التداوليَّة ومقامها في تأدية المعاني والدلالات والوظائف الحجاجيَّة، مع قلَّة ما وصلنا من أقواله الشّريفة.

المطلب الأوَّل: حجاج الحقِّ في مُواجهة الباطل:

عرض الإمام ﷺ، في غير توقيع من توقيعاته قضايا عقديَّة، وكانت الغاية منها حفظ الدين وتبليغه وبيانه، وتمكين المؤمنين منه، وردّ الشبهات عنه، وهو في أحد توقيعاته إلى أحمد بن إسحاق الأشعريّ، يعرض لقضيتيْن مُتقابلتين تتَّصلان اتِّصالًا وثيقًا بسؤال العقيدة..، هما: الحقّ، والباطل؛ وقد قال فيه: **"أبى الله عزَّ وجلَّ للحقِّ إلَّا إتمامًا وللباطل إلَّا زُهوقًا وهو شاهدٌ عليَّ بما أذكُره.. وقد ادَّعى هذا المبطل المفتري على الله الكذب بما ادَّعاه، فلا أدري بأيَّة حالة هي له رجاء أن يتمّ دعواه، أبفقه في دين الله؟ فوالله ما يعرف حلالًا من حرام، ولا يفرّق بين خطأ وصواب، أم بعلم فما يعلم حقًّا من باطل، ولا محكمًا من متشابه ولا يعرف حدَّ الصلاة ووقتها، أم بورع فالله شهيد على تركه الصلاة الفرض أربعين يومًا"**[٣٣].

يستهل الإمام ﷺ توقيعه بأسلوب خبريّ من الضّرب الطلبيّ، مرفقًا بأسلوب الحصر للتأكيد وإزالة الشّك والتوهُّم (أبى الله.. للحقِّ إلَّا تمامًا وللباطل إلَّا زهوقًا)، هذا ويعدُّ توظيف "ما.. إلَّا.." من العوامل الحجاجيَّة الَّتي تؤدِّي معنى الحصر وتُمكِّن لنتيجة واحدة في الغالب[٣٤].

فثبّت الإمام ﷺ فكرة قاطعة أنَّ الله تعالى يقطع دابر الكافرين ويُظهر الحقَّ، وبذلك فهو يثبت أسس الدين الإسلاميّ المُحَمَّديّ.. ثُمَّ يرفق **حجَّته الدينيَّة العقليَّة**، بعبارة أخرى في قوله: **وهو شاهد على ما أذكره**، أي (والله على ما أقول شهيد)، الَّتي تحمل توبيخًا ضمنيًّا وتهديدًا لمن ينكر ذلك.. فيكون كلامه تهديدًا لهؤلاء الَّذين يكفرون بآيات الله ويكذِّبون أنبياءه ورسله..

٣٣ الطوسي، الغيبة، ط١ (قم المقدسة: مؤسسة المعارف الإسلاميّة، ١٤١١هـ)، ٢٨٧.

٣٤ حسيني، مختار. "الحجاج اللغوي بين النظرية والتطبيق آيات من سورة آل عمران نموذجًا،" ضاد مجلة لسانيات العربية وآدابها المجلد١، العدد٢. ٨٧ (٢٠٢٠).

ونتيجة القول: إنَّ الله سوف يجازيهم عليه في الدنيا والآخرة بما يستحقونه... وهو بذلك يُزيل الشّكَّ عن صدق دعواه، ويُقنع المتلقّي في ما يقوله ويبلغه، وفي ذلك **استمالة عاطفيَّة**؛ لأنَّه يوظِّف كلمات محمَّلة بالمشاعر الدّينيَّة وصدق التعبير.

ينتقل بعدها الإمام ﷺ إلى بيان كذب الشّخص الَّذي ادَّعى الإمامة، وهو الغرض الأساسي من هذا التوقيع: **"وقد ادَّعى هذا المبطل المفتري على الله الكذب بما ادَّعاه، فلا أدري بأيَّة حالة هي له رجاء أن يتمَّ دعواه، أبفقه في دين الله؟"**

تُعدُّ عبارة الاستهلال من المقولات الإنجازيَّة الَّتي تغدو حجَّة منطقيَّة على القائل والسامع معًا (**ادَّعى**)، والفعل الغرضيّ هو لفظ يلفظه المتكلِّم في سبيل إنجاز معنى قصديّ، وفي ذلك يخاطب الإمام ﷺ عقل المتلقّي بذكر أنَّ قوله ليس إلَّا كذبًا وافتراء؛ لأنَّه يكتم الحقَّ ويفتري على الله الكذب؛ وقد قال سبحانه: ﴿ **وَلا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ** ﴾ [النحل:١١٦]، وفي ذلك مخاطبة لعاطفته وفكره؛ لأنَّه يتَّكئ على تعاليم الدّين الَّتي تُمثِّل نقطة البداية لتنفيذ الشّريعة، بما يحمله القرآن الكريم من قدسيَّة ورمزيَّة لدى المسلم.

ثُمَّ يستعمل آليَّة لغويَّة تعبيريَّة بغاية التأثير والاستمالة معًا: **في سؤاله: "فلا أدري بأيَّة حالة هي له رجاء أن يتم دعواه؟"** بغية إثارة الشكّ في دعوى المبطل، واستمالة متلقِّي الخطاب وزرع الشكّ في عقله نحو سلوك هذا الأخير وموقفه وكلامه... وتكمن بلاغة الاستفهام هنا، أنَّ الإمام يسأل سؤالًا على سبيل الإنكار.. مع وجود اليقين بأنَّ مدَّعي الإمامة غير متفقّه بالدين..؛ ما يُسهم في "شدِّ انتباه الحاضرين.. فالسؤال بشكل آخر يبحث عن التواصل مع الآخرين، ويطلب منهم توجيه اهتمامهم إلى ما سيجري"[٣٥].

كما تأتي عبارة النفي (فلا أدري) ".. في النصِّ الحجاجيّ بوصفها آليَّة للنقض في أطر تفنِّد الرأي الآخر (الخصم) وتهدّ الأسس الَّتي بنى رأيه المضادّ فتسلب منه مصداقيَّته، وتؤكِّد الحجَّة الملقاة من المخاطب بها"[٣٦].

٣٥ الصديق، حسين. المناظرة في الأدب العربي الإسلامي، ط١ (بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، ٢٠٠٠)، ٢٥٢.

٣٦ رسن، فاطمة كريم. "استراتيجية الحجاج في خطبة السيدة زينب عليها السلام في الشام،" مجلة الكلية الإسلامية الجامعة المجلد ٤، العدد ٤٣: (٢٠١٧) ٤٧٨

هـذا ويتضمَّـن خطابـه تقريعًـا لمدَّعـي الإمامـة، بأسـلوب مبـاشر، وتقريعًـا للكفَّـار عمومًـا بأسـلوب ضمنـيّ (الغايـة الإقناعيَّـة الكـبرى)، لأجـل أن يرتدعـوا.. ثُـمَّ يسـوق حججًـا في سـلم حجاجـيّ متلاحـق ومتسلسـل ليصـلَ إلى النتيجـة القصـوى وهـي: جهـل هـذا المبطـل بديـن الله.. فتكـون النتيجـة وسـطًا بـين معطيـين، يتشـارك فيهـما خطـاب العاطفـة والعقـل بوصفهـما أدوات إقناعيَّـة متسـاندة في فضـاء القـول المجـازيّ، ويمكـن توضيحهـما عـلى وفـق الآتي:

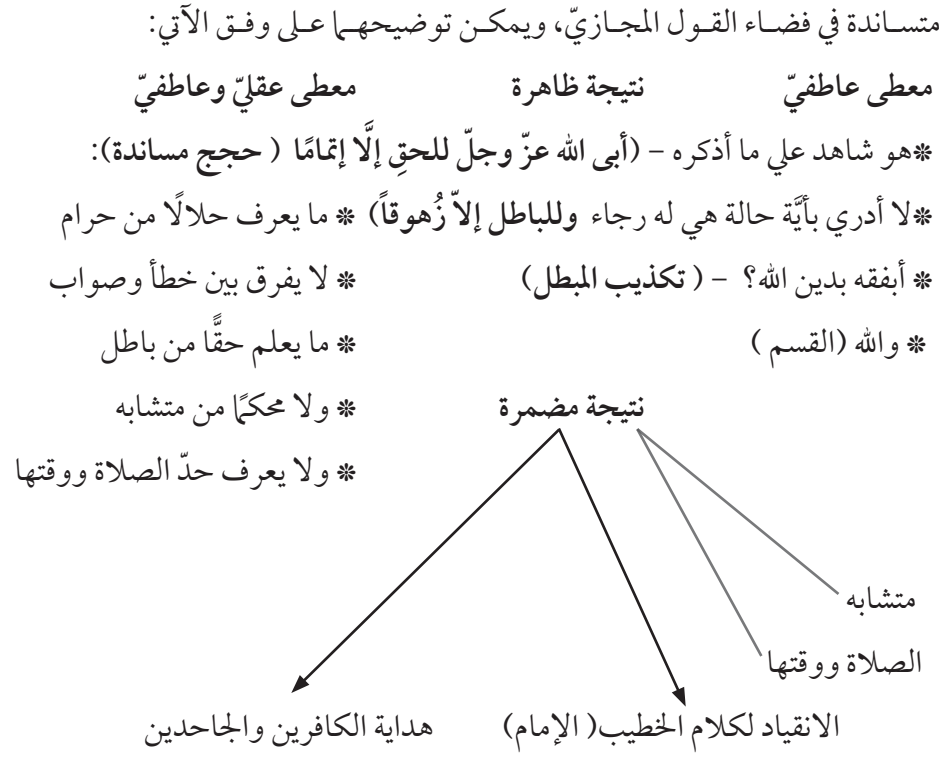

وهكذا، تتحقق غاية الإمام ﷺ من هذا القول، وهي: تكذيب المبطلين الَّذين يفترون على الله كذبًا ويشهدون بالباطل ويكتمون الحقَّ؛ وقد افتتح قوله بالشاهد القرآنيّ ليكون حجَّة قاطعة على صدق دعوته، إذ يُعدُّ "الشاهد القرآنيّ شاهدًا فاصلًا بين الحقِّ/ المعنى، والباطل/ الزعم"[٣٧].

انطلاقًـا مـن الحجـج الَّتـي أوردهـا الإمـام ﷺ، يصـل إلى النتيجـة الأساسـيَّة، بعـد أن جـرَّد عـن المبطِـل الَّـذي ادَّعـى الإمامـة ثـلاث صفـات، وهـي:

٣٧ الشبعان، علي. الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل (بحث في الأشكال والاستراتيجيات)، ط١ (دار الكتب الجديدة المتحدة، ٢٠١٠)، ١٦٣.

أوَّلًا: هو ليس بفقيه؛ لأنَّه لا يميِّز الحلال عن الحرام..

ثانيًا: ليس بعالم؛ لأنَّه لا يعلم الحقَّ من الباطل...

ثالثًا: ليس بوارع؛ لأنَّه ترك الصلاة الفرض أربعين يومًا.

وقد لجأ ﷺ إلى القَسَم، وهو "ضرب من ضروب الخبر والتأكيد وأسلوب من أساليب تثبيت الكلام وتقريره، ليتأكَّد به خبر آخر"[٣٨]، وهو يستعمل وسيلة للإقناع، ويترك أثرًا في المتلقِّي لكي يزول من نفسه أيُّ شكٍّ أو تردُّد، وفي ذلك استمالة نفسيَّة وحجَّة عقليَّة، كما ساق ﷺ حججه، بتسلسل منطقيّ؛ إذ ينطق بداية بالحكم، ثُمَّ يسوِّغ السبب لذلك، وهذا ما يسمَّى بالحجاج المنطقيّ التفسيريّ؛ لأنَّه قائم على أساس الإقناع العقليّ والمنطقيّ، واستعمال الحجج والبراهين..

ثُمَّ يختم توقيعه بقوله: **"وقد أبى الله أن يكون الإمامة في أخويْن بعد الحسن والحسين (ع) وإذا أذن الله لنا في القول ظهر الحقُّ واضمحل الباطل وانحسر عنكم"**[٣٩].

وهنا، يطلق ﷺ فحوى رسالته، وهو الطّعن بشخصيَّة جعفر الَّذي ادَّعى الإمامة، بعد أن جرَّده من الصفات الكريمة كلِّها، الَّتي تؤهِّله أن يحتلَّ منصبًا رفيعًا حاويًا لفضائل الدنيا من العلم والورع والتديُّن والتفقُّه.. فحوَّله بذلك إلى شخص جاهل لا يفقه شيئًا من أمور الدين، فكيف يُمكن أن ينصِّبه الله تعالى إمامًا على الأمَّة!

ويُلحظ توظيف الإمام ﷺ للبلاغة في قوله: **"اضمحلَّ الباطل، وانحسر عنكم"**؛ إذ يستعين بالاستعارة المكنيَّة "الَّتي لا يخفى أثرها في تحريك همَّة المستمع إلى الاقتناع بها"[٤٠]، فيبني رسالته على إبراز المعنويّ في صورة حسِّيَّة، ليعلن موقفه اليقينيّ أنَّ الله تعالى أبى أن تكون الإمامة في أخوين بعد الحسن والحسين عليهما السلام.. وليكون كلامه هذا شاهدًا وشهيدًا على النطق بالحقِّ وكشف الباطل، وشجبه ما قام به جعفر بنشره التفرقة بين صفوف الشيعة وإنكاره ولاية الإمام، وتحذيره أتباعه من انحرافهم عن الحقِّ، ما يستلزم الاعتقاد بما يقول أوَّلًا، ثُمَّ العمل بفحوى كلامه ثانيًا؛ لأنَّ المُعطى المقدَّم يُلزم المتلقِّي في الأخذ بمتواليَّة الحجج.

٣٨ اللبدي، محمد سمير. معجم المصطلحات النحوية والصرفية، د.ط. (الجزائر، د.ت.)، ١٨٧.

٣٩ المجلسي، محمد باقر. بحار الأنوار (بيروت: مؤسسة المعارف الإسلامية، ١٩٨٣)، ٢٥/ ١٨٣.

٤٠ عبدالرحمن، طه. اللسان والميزان (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٧)، ٣١٢.

ومن أقواله ﷺ: "**إنَّ الحقَّ معنا وفينا، لا يقولُ ذلك سوانا إلَّا كذّابٌ مُفتَرٍ**"[٤١].

وهنا تتجلَّى الأداة الحجاجيَّة: أسلوب القصر في الحصر، والإمام ﷺ بذلك يضيق الإمكانات الحجاجيَّة للقول ويقيِّدها في معنى واحد، وهي من الروابط المنطقيَّة الَّتي تؤكِّد فحوى القول بأنَّ الحقَّ مع أئمتنا عليهم السلام، وفيهم.. وأي خلاف يخالف قولهم ليس سوى كذب وافتراء، وقد قال الله تعالى: ﴿**وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا**﴾ أي كذب هؤلاء الكفَّار بحُججِنا وأدلَّتنا تكذيبًا والحقيقة أنَّ "انتصار الحقِّ وهزيمة الباطل، تعبير عن قانون عامّ يجري في مختلف العصور.. ونهضة المهديّ (عجَّل الله تعالى فرجه) الموعودة، وانتصاره على الظالمين في العالم، هما من أوضح المصاديق لهذا القانون العامّ.. وهذا القانون يبعث الأمل في نفوس أهل الحقِّ، ويعطيهم القوَّة على مواجهة مشاكل الطريق في عملهم ومسيرهم الإسلاميّ"[٤٢].

المطلب الثاني: حجاج الدعوة إلى الوحدة في وجه دعاة التفرقة، وانتظار الظهور:

في رسالة الإمام)عج) لأتباعه وشيعته، يدعوهم فيها إلى الوحدة ورصِّ الصفوف وينبِّههم من الوقوع في شرك الفتن، وقد أظهر فيها استياءه من انحراف بعض الشيعة عن الحقِّ والتشكيك بولايته، يقول:

"**عَافَانَا اللهُ وَإِيَّاكُم مِنَ الضَّلَالَة وَالفِتَنِ، وَوَهَبَ لَنَا وَلَكُم رُوحَ اليَقِينِ، وَأَجَارَنَا وَإِيَّاكُم مِن سُوءِ المُنقَلَبِ، إِنَّهُ أُنهِيَ إِلَيَّ ارتِيَابُ جَمَاعَةٍ مِنكُم فِي الدِّينِ، وَمَا دَخَلَهُم مِنَ الشَّكِّ وَالحَيرَةِ فِي وُلَاةِ أُمُورِهِم، فَغَمَّنَا ذَلِكَ لَكُم لَا لَنَا، وَسَاءَنَا فِيكُم لَا فِينَا؛ لأَنَّ اللهَ مَعَنَا وَلَا فَاقَةَ بِنَا إِلَى غَيرِهِ، وَالحَقُّ مَعَنَا فَلَن يُوحِشَنَا مَن قَعَدَ عَنَّا، وَنَحنُ صَنَائِعُ رَبِّنَا، وَالخَلقُ بَعدَ صَنَائِعِنَا . يَا هَؤُلَاءِ! مَا لَكُم فِي الرَّيبِ تَتَرَدَّدُونَ؟ وَفِي الحَيرَةِ تَنعَكِسُونَ؟ أَوَ مَا سَمِعتُمُ اللهَ ﷻ يَقُولُ: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ" (النساء: ٥٩)**"[٤٣].

في محاولة من الإمام ﷺ إلى هداية شيعته، والتأثير بهم، يسوق استدلالات عقليَّة ونفسيَّة، وهذا ما نتلمسَّه في توقيعه الَّذي تندرج تحته عدّة آليات إقناعيَّة.

٤١ المجلسي، بحار الأنوار، ٥٣/ ١٩١.
٤٢ مجلة بقية الله، "العدل المنتظر: مقالات مهدوية" (مكتبة المعارف الإسلامية، ٢٠٢٢)، ٩.
٤٣ الطوسي، الغيبة، ١٧٩_ ١٨١.

يفتتح الخطيب (الإمام "عج") توقيعه بأسلوب الدعاء (عافانا الله وإيَّاكم من الضلال والفتن)، مع ما يحمله أسلوب الدعاء من جانب بلاغيّ جماليّ في النفس الإنسانيَّة وتوجيهها؛ فهو بمثابة زاد لغويّ نفسيّ بلاغيّ وشرعيّ... وقد استتبعه بعدَّة معطيات دعائيَّة تعبِّر عن حبِّه وقربه لشيعته ودعائه لهم بالهداية والصلاح واليقين، وخلاصهم من الضَّلال والفتن وسوء المنقلب.. ما يترك تأثيرًا نفسيًّا لدى المتلقِّي يدفعه إلى الشعور بالارتياح والانقياد تحبُّبًا وتودّدًا..

ينتقل بعدها الإمام ﷺ إلى تجسيد الوظيفة التواصليَّة للُّغة، إذ يتكئ على إستراتيجيَّة، تقوم على بناء منظومة من العلاقات تُعبِّر عن نفسها بمرورها بمنظومة اتِّصاليَّة توشِّج العلاقة بين المرسِل والمتلقِّي:

أوَّلًا: **نيَّة التلقِّي**: وقد تجلَّت من بناء الإمام ﷺ علاقة تواصليَّة عاطفيَّة بينه والمتلقِّي، بالدّعاء لهم، كما ذكرنا سابقًا، وهذا يُسهم في استمالتهم عاطفيًّا.

ثانيًا: **غاية الرّسالة**: إذ يكشف الإمام ﷺ عن غايته من إرسال هذا التوقيع: (**إِنَّهُ أُنهِيَ إِلَيَّ ارتِيَابُ جَمَاعَةٍ مِنكُم فِي الدِّينِ، وَمَا دَخَلَهُم مِنَ الشَّكِّ وَالحَيرَةِ فِي وُلَاةِ أُمُورِهِم**).. وهنا تتكشف لدينا نيَّة الإقناع، إذ يعمد المرسِل إلى إطلاق الحافز الأوَّل لإنشائه الرسالة، وهذا يحمل بعدًا نفسيًّا وعقليًّا معًا؛ لأنَّ الرسالة ستصاغ بناءً على مجموعة من التواضعات اللُّغوية المشتركة بين المرسِل والمتلقِّي.

ثالثًا: تكشف الرّسالة عن **فعل الإقناع**؛ بذكر الإمام ﷺ المعطيات والنتائج الَّتي أسفرت عنها؛ إذ ساءه ما وصله من سلوك بعض الشيعة في انقيادهم إلى أفكار الضلال وتصديقهم الأكاذيب والافتراءات، إذ يُبيِّن لهم نتيجة أفعالهم في ذاته، مع علمه مُسبقًا، بمكانته العزيزة في نفوسهم، ويمكن التعبير عن ذلك في التّرسيمة الآتية:

المُعطى (المقدّم)	النتيجة	تقييم الحجَّة (هي حجَّة عاطفيَّة)
*ارتياب جماعة منكم في الدين *الشكّ والحيرة في ولاة الأمر	⬇	ربط السلوك السلبيّ بالنتيجة الَّتي تخالف عقيدة الشيعيّ في الامتثال لولاة الأمر

فغمَّنا ذلك، وساءنا فيكم

يتَّضح أنَّ الخطيب يستدرج المخاطَبين، ويستثير عواطفهم الدّينيَّة، مُظهرًا قناعته الخاصَّة بأنَّ ما صنعوه يمثِّل إساءة فيهم لا فيه شخصيًّا؛ مظهرًا فرائض بيِّنة وآيات محكمة في تعداده خصالهم الأصيلة ومكانتهم الفاضلة، وذلك بتعداد أربع حجج متتالية تحمل مقصدًا سلطويًّا مفاده: أنَّهم يخالفون الله تعالى بمخالفتهم إمام زمانهم، وأنَّ تخلُّفهم عن مبايعة إمام زمانهم لن يُغيِّر من واقع الحال، بأنَّه حجَّة الله على الأرض؛ أمَّا الحجج فهي:

- **لأَنَّ اللهَ مَعَنَا وَلَا فَاقَةَ بِنَا إِلَى غَيرِهِ**
- **وَالحَقُّ مَعَنَا فَلَن يُوحِشَنَا مَن قَعَدَ عَنَّا**
- **وَنَحنُ صَنَائِعُ رَبِّنَا**
- **وَالخَلقُ بَعدَ صَنَائِعِنَا**

تكشف هذه الحجج عن معنى تداوليّ مُضمَر (تورية)، يُخرج فيها الإمام ﷺ فريقًا من شيعته من دائرة اليقين إلى دائرة الاتِّهام، لأنَّ مخالفة ولي الأمر، هو مخالفة لأمر الله تعالى، ومن ثُمَّ فهي تُمثِّل كشفًا واستقراءً لبعد دلاليّ تحريضيّ، في زمن كثرت فيه الصراعات المذهبيَّة والإسلاميَّة، وشاعت الأكاذيب والافتراءات في مرحلة مفصليَّة من مراحل الإمامة والولاية.

رابعًا: فعل التلقِّي: وهنا، تتمثَّل الاحتمالات في السلوك الَّذي قد يتَّخذه المتلقِّي بعد تلقيه الرسالة في المستقبل.. أي السلوك المُعيَّن الَّذي قد يأخذ احتمالين؛ إمَّا الاستجابة، وإمَّا الخيبة وعدم الامتثال.. إلَّا أنَّ الإمام ﷺ ولما يمتلكه من نصاية القول ومن ملكة في الإقناع، يلجأ إلى أدوات حجاجيَّة متنوِّعة، مع تغيير النبرة الخطابيَّة، الَّتي تجمع القصد التودّدي بالقصد

السلطويّ التّقريعيّ (الترغيب والتهديد معًا).. لضمان استمالة المتلقِّي ورضوخه وعدوله عن السلوك المنحرف، بالكلمة الطَّيِّبة تارة، وهي رسالة المرسلين وسمة المؤمنين دعا إليها ربُّ العالمين؛ إذ قال الله تعالى: ﴿**وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ**﴾ (الحج:٢٤)، وبلغة الوعيد تارة أخرى لتنبيههم وتحذيرهم.

يتوسَّل الإمام ﷺ **الأدوات الحجاجيَّة البلاغيَّة الأولى(الجمل الإنشائيَّة)**؛ إذ يتوجَّه إليهم بعبارة النداء المرافقة بأداة التعجُّب: (يا هؤلاء)، يليها ثلاث جمل استفهاميَّة متتالية، تحمل مقصدًا سلطويًّا، تمنح الإمام ﷺ حقَّ تأنيب المتلقِّي بوصفه القائد والداعي الَّذي يجب اتِّباع دعوته.

أمَّا **الآية القرآنيَّة فتعدُّ الأداة الحجاجيَّة اللُّغويَّة الثانية** الَّتي استند إليها ليسوق خطبه ودعوته الأخيرة لهم، إذ خاطبهم الإمام بسؤاله: "**أَوَ مَا سَمِعتُمُ اللهَ عزَّ وجلَّ يَقُولُ: "يَـأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ"، وهو خطاب عاطفيّ وعقليّ، يُمثِّل موجِّهًا أيديولوجيًّا وعقائديًّا يترك تأثيرًا في المجهور المتلقِّي**، "ولا غرو أنَّ نصًّا كريمًا يحوز هذا الوضع الاعتباريّ لدى المخاطبين به، ويثير قضايا عقديَّة ويحثُّ على أخلاق بعينها، ويهدم أخرى عمرت طويلًا وهي داحضة، يظل خطابًا حجاجيًّا بامتياز"[٤٤]، وهنا نقصد النّصّ القرآنيّ.

إذ مثّل الشاهد القرآنيّ حجَّة برهانيَّة غير قابلة للشكِّ، تترك همينة مُطلقة في نفوس المتلقِّين، ليؤكِّد الإمام ﷺ قوله: أي إن كنتم تؤمنون حقًّا بالله واليوم الآخر، فعودوا إلى كتاب الله وسنَّة نبيِّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، في ما اختلفتم فيه من أمور الدين؛ والآية الكريمة "بها يستحكم أساس المجتمع الإسلامي وهو التحضيض والترغيب في أخذهم بالائتلاف والاتِّفاق، ورفع كلِّ تنازع واقع بالردِّ إلى الله ورسوله"[٤٥]، والآية بذلك تدلُّ على وجوب طاعة ولي الأمر، ولم تقيده بقيد أو شرط، وبذلك تغدو شاهدًا برهانيًّا بحسبانها نصًّا لغويًّا مقدَّسًا هو فوق كلِّ شبهة أو ريب، ما يضمن انقياد المتلقِّي، على الرغم من الاستدراج الَّذي

٤٤ صالحي، عبدالرزاق. الحجاج بالتشبيه في القرآن الكريم، العدد ١٢، ٢٦٨. ٢٠٢٣،

٤٥ الطباطبائي، محمد حسين. الميزان في تفسير القرآن، ط١ (بيروت: منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤٢٧)، المجلد٤/ ١٤٣.

سار عليها مُطلق الخطاب، الَّذي راوح بين مُخاطبة العاطفة حينًا، ومخاطبة العقل حينًا آخر.

وبعد اطمئنان الإمام ﷺ، إلى يقين تأثيره في نفوسهم، واعتقاده بأنَّهم عازمون على تلبية دعوته، أرسى دعائم خطبته **بخاتمة تلطُّفيَّة**، في إشارة إلى تواضعه، إذ أوصاهم بتقوى الله، وأبلغهم بأنَّهم يستغفر الله لهم، وإن كان قد بدر منهم ما يغضب الله تعالى.. وفي ذلك إشارة خفيَّة إلى تواضعه؛ وهي إستراتيجيَّة نفسيَّة تترك أثرًا محبَّبًا في نفوس المتلقِّين؛ إذ يشعرون وكأنَّهم على مرتبة سواء مع مُطلِق الخطاب، الَّذي تواضع في رسالة توجيهيَّة بعد أن أظهر نفسه في رتبة متواضعة، متوجِّهًا إليهم بقوله: "**فَقَد نَصَحتُ لَكُم، وَاللهُ شَاهِدٌ عَلَيَّ وَعَلَيكُم، وَلَولَا مَا عِندَنَا مِن مَحَبَّةِ صَلَاحِكُم وَرَحمَتِكُم، وَالإِشفَاقِ عَلَيكُم، لَكُنَّا عَن مُخَاطَبَتِكُم فِي شُغُلٍ مِمَّا قَدِ امتُحِنَّا بِهِ مِن مُنَازَعَةِ الظَّالِمِ العُتُلِّ... عَصَمَنَا اللهُ وَإِيَّاكُم مِنَ المَهَالِكِ وَالأَسوَاءِ، وَالآفَاتِ وَالعَاهَاتِ كُلِّهَا بِرَحمَتِهِ، فَإِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ وَالقَادِرُ عَلَى مَا يَشَاءُ، وَكَانَ لَنَا وَلَكُم وَلِيًّا وَحَافِظًا**"[٤٦].

وفي جواب الإمام الحجَّة ﷺ، عن مسائل أحمد بن إسحاق أشكلت عليه، فكان توقيعه: "... **وأمَّا وجهُ الانتفاعِ بي في غيبتِي فكالانتفاعِ بالشمسِ إذا غيّبَتها عن الأبصارِ السّحاب، وإنِّي لأمانٌ لأهلِ الأرضِ كما أنَّ النّجومَ أمانٌ لأهلِ السّماء..**"[٤٧].

يفتتح الخطيب خطابه الحجاجيّ بصورتيْن تشبيهيتيْن تمثِّلان عاملًا رئيسًا، ومقوِّمًا فنِّيًّا في العمليَّة الحجاجيَّة؛ إذ جعلهما وسيلة إقناعيَّة نقلت خطاب المتكلِّم من مستوى الكلام العادي إلى **لغة مثيرة ومؤثِّرة لمشاعر الآخرين**..

في الصّورة الأولى، يُشبه الخطيب وجه الانتفاع به في غيبته(المشبَّه) بالانتفاع بالشمس إذا غيَّبتها عن الأبصار السّحاب (المشبَّه به)؛ وفحوى الصّورة أنَّ الإمام ﷺ هو الغاية من الخلقة، ولولا وجوده لانتفت الغاية من خلقة العالم، وأنَّه لو كان الخليفة موجودًا لظلَّ الفيض نازلًا على البشريَّة من طريقه، تمامًا كانتفاع الناس من الشمس بظهورها وسطوعها.. وأمَّا إذا غابت واختفت وراء السحب لن ينتفع منها الناس.. والشمس بغيابها تغيب أسباب الحياة..، وفي هذا الإطار يؤدِّي التّمثيل دورًا في الابتكار والتدليل والحجاج انطلاقًا من التأثير الَّذي يتركه في المتلقِّي.

٤٦ الميانجي، علي الأحمدي. مكاتيب الأئمة، تحقيق ومراجعة مجتبى الفرجي (شبكة الفكر للكتب الإلكترونية، د.ت.)، ٧/ ١٨_ ١٩.
٤٧ المجلسي، بحار الأنوار، ٥٣/ ١٨١.

وفي الصورة الثانية يُشبه نفسه بالأمان لأهل الأرض، كأمان النجوم لأهل السماء.. أي أنَّه أمان لأهل الأرض من الهلاك والضَّلال والفناء؛ ويؤيِّد ذلك قول الله تعالى:﴿**ولَقَد زَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنيا بِمَصابِيحَ وجَعَلناها رُجُومًا لِلشَّياطِينِ**﴾، ورُوي في تفسيرها: "أنَّ المصابيحُ وهيَ النجومُ لها وظيفتانِ: إحداهُما للزينةِ، والأخرى للحفظِ"[٤٨]، وهكذا، يغدو التشبيه وسيلة إقناعيَّة نفسيَّة وعقليَّة معًا؛ إذ يقرب المعنى ويجعله أقرب إلى الفهم والتصوُّر والتصديق.. هذا، "وقد تنوَّعت الصور البيانيَّة في توقيعات الإمام المهديّ عجل الله فرجه مشكِّلة قيم دلاليَّة جماليَّة تعمل على إسناد الحجَّة ودعمها لتحقُّق غايتها الحجاجيَّة"[٤٩].

ويتجلَّى الدور الحجاجيّ لهاتين الصّورتين، لاستمالة المتلقِّين، واقتناعهم عقلًا ومنطقًا بالهدف المنشود وهو: الاستفادة من وجود الخليفة بينهم لتبقى قلوبهم مستنيرة بنوره وهدايته وعلمه..

ومن توقيعه المبارك الصادر، منه من الناحية المقدَّسة، على يد النائب الرابع عليّ بن مُحَمَّد السمري قبل وفاة النائب بستَّة أيَّام :" **فقد وقعت الغيبة التامَّة، لا ظُهورَ إلَّا بعد إذن الله تعالى ذِكرُهُ وذلك بعد طول الأمد وقسوةِ القلوب وامتلاء الأرضِ جَوْرًا**"[٥٠].

يتوسَّل الخطيب، هنا، إستراتيجيَّة **المناشدة العقليَّة**، القائمة على مُخاطبة العقل وتقديم الحجج الواضحة والشواهد المنطقيَّة التي توصل إلى قناعة المتلقِّي بها.. وهذه الكيفيَّة مكمِّلة **للمنشادة العاطفيَّة** لما لها من سلطان نفسيّ على المتلقِّي، ذلك أنَّ التأثُّر بلا إقناع لا يحدث الاستمالة التامَّة، ولا يضمن ديمومتها، من هنا نلحظ أنَّ الخطيب يستثمر الحجج العقليَّة في إعلان وقوع غيبته الكبرى، وتحديده علامات الظهور بعد إذن الله تعالى بعلامات محدَّدة هي: طول الأمد، وقسوة قلوب الناس، وامتلاء الأرض بالجور..

وفي هذا السياق، تتحدَّد وظيفة الاستعارة المعنويَّة الحجاجيَّة (قسوة القلوب) و(امتلاء الأرض جورًا)، إذ "تدخل ضمن الوسائل اللُّغويَّة الَّتي استعملها المتكلِّم بقصد توجيه

٤٨ المرسومي، رعد. "كيف تكون النجوم أمانا لأهل السماء في قول الحجة(ع): إني أمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء؟" (مركز الرصد العقائدي، ٢٠٢٢)، https://alrasd.net/arabic/islamicheritagee/3449.

٤٩ العلي، امتثال شهيد جاسم. "حجاجية الصورة البيانية في توقيعات الإمام المهدي دراسة تطبيقية،" دراسات إسلامية معاصرة، العدد٣ : (٢٠٢٣) ٣٣٧.

٥٠ الطوسي، الغيبة، ٣٩٥.

الخطاب، وبقصد تحقيق أهدافه الحجاجيَّة"[٥١]. تدلُّ عبارة (قساوة القلوب) على غلظتها وتحجُّرها، والمعنى المقصود هنا: عدم تأثُّرها بذكر الله، وبذلك تصبح مغلقة، منعدمة الرحمة والرِّقة وهي من الصفات المذمومة الَّتي تمنح صاحبها الشقاء وعدم التوفيق؛ وقد ذمَّ القرآن الكريم أصحاب القلوب القاسية، لأنَّها تأبى الخشوع أمام كلمة الحقِّ، وقد قال تعالى: ﴿ **ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً**﴾(البقرة: ٧٤).

أمَّا الاستعارة الثانية (امتلأت الأرض جورًا) فهي تشير إلى دلالة خاصَّة، وهي أنَّ الإمام عندما يظهر سيملأ الأرض عدلًا ويُكافح الظلم ويطهِّر المجتمع البشريّ منه.. إذ يُعَدُّ انتشار الظلم والفساد من أهمِّ الحجج والعوامل المثيرة في تحقيق ظهوره ﷺ، بل وتعجيل فرجه.. والاستعارة " بوصفها تمثيلًا مركبًّا من تخيُّل وتصوير، هي شكل خطابيّ يدفع بالحجَّة إلى مستوى لا يتحدَّد معه ميزان لمعرفة قيم الحقيقة فيقع البرهان بسلطة لا تنقضي"[٥٢].

إنَّ النهج الَّذي اتَّبعه الخطيب في صوغ خطابه الإقناعيّ، يضع المتلقِّي في موقع (انتظار الإنقاذ) على نحوين: أوَّلهما: الأمل بالتّخلُّص من الظلم والجور، ثانيهما: الشفاء والانتصار لصالح الحقِّ والخير والمحبَّة والصفاء، وبهذا تتحوَّل غيبة الإمام ﷺ إلى حجَّة كونيَّة، تنذر بثورة كونيَّة شاملة، تهدم سلطان الباطل والشرك لتقيم سلطان الحقِّ والخير بمخلِّص البشريَّة، من نسل مُحَمَّد وآل مُحَمَّد.

المطلب الثّالث: حجاج الدعوة إلى الصّلاح والتّقوى وتطهير النّفس:

عرض الإمام ﷺ غير خطاب حجاجيّ، يلهم المؤمن اجتهادًا للإقبال على الحياة والتزوُّد منها بالعمل الصالح للقاء الله بقبول حسن، ومن جهة ثانية، يبصّر الجاحدين والكفرة والمشركين أنَّ سوء أعمالهم ستخلص بهم إلى سوء العاقبة.. وهو بذلك يسلك سبيل الحجاج النفسيّ والعقليّ معًا؛ إذ يحاجج المستمع بالأدلَّة العقليَّة (رابطًا العمل بالعواقب)، وموظِّفًا كلمات محمَّلة بالمشاعر الدينيَّة والعواطف النبيلة (العقيدة، والحلال والحرام والشكِّ والشرك بالله والكفر) بوصفها أدوات إقناعيَّة تأثيريَّة نفسيَّة وعاطفيَّة، و"الأدلَّة العاطفيَّة تقيم رباطًا

٥١ أبو بكر العزاوي، العمدة في الطبع، ط١ (الدار البيضاء، ٢٠٠٦)، ١٠٨.
٥٢ ناصر، عمارة. الفلسفة والبلاغة مقاربة حجاجية للخطاب الفلسفي، ط١ (الجزائر: منشورات الاختلاف، ٢٠٠٩)، ١٥٩.

محكمًا من الثقة بين المتلقِّين والمحاجج، فالمتلقِّي الَّذي يتماهى عاطفيًّا مع المتحدِّث يكون أكثر ميلًا لقبول دعواه"[٥٣].

وممَّا قاله ﷺ في رسالة له إلى إسحاق بن يعقوب: "**وأمَّا أموالكم فلا نقبلها إلَّا لتطهروا**"[٥٤].

يوظِّف الإمام الحجَّة ﷺ القصر بوصفه أداة حجاجيَّة لغويَّة، مخاطبًا المتلقِّي بلغة إقناعيَّة رابطًا بذلك بين الحجَّة والنتيجة:

النتيجة: (أمَّا أموالكم فلا نقبلها)/ (أداة النفي: ما)..... أداة الاستثناء (إلَّا)... **الحجَّة**: لتطهروا

والنفي في قوله: (لا نقبلها) هي "أسلوب لغويّ تحدِّده مناسبات القول، وهو أسلوب نقضٍ وإنكار يستخدم لدفع ما يتردَّد في ذهن المخاطب"[٥٥]، ويعدّ النفي "صورة من صور تقييد الفكرة المطروحة، والضغط على محتواه الخبريّ؛ لكي يجعل المتلقِّي يلتفت إليها لعلَّه يذعن"[٥٦]، من جهة ثانية "للنفي من الناحية الحجاجيَّة أهمِّيَّة تبرز انطلاقًا من طبيعة بنيته اللُّغويَّة ووظائفه الدلاليَّة، إذ لمَّا كان الكلام إثارة لتوكيده واستدعاء له إنَّه يولِّد شكًّا ثُمَّ نقاشًا ومن ثُمَّ حجاجًا"[٥٧].

كما يتضمَّن قوله معنى شرطيًّا، و"الأسلوب الشرطيّ يمتاز بربطه بين أجزاء الكلام ربطًا ملاحظًا فيه ترتُّب المسبَّب على السبب، فإذا ذكرت أداة الشرط وأردفت بفعل الشرط تشوَّقت النفس إلى ذكر ما سيكون، فإذا ذكر الجواب بعد هذه الإثارة وهذا التشويق تمكَّن أيَّما تمكُّن"[٥٨].

من جهة ثانية، يوظِّف الخطيب هذا العامل من التراكيب التي تنساق على وفق الحجج بحسب درجتها في سلم حجاجيّ واحد، هادفًا بذلك إلى إيصال المتلقِّي إلى النتيجة الحتميَّة، وهي الدعوة إلى طهارة القلب لقبول الأعمال وإنفاق الأموال؛ وهنا حصر الإمام قبول الأموال الَّتي تنفق في سبيل الله بطهارة القلب والنفس من الأحساد والأحقاد. كما يوظِّف ﷺ فعل الأمر، وهو من الأساليب الإنشائيَّة التي تستعمل في سبيل الإرشاد وبناء النفس بناءً حسنًا، وممَّا قاله: "**فاتَّقوا الله وظاهرونا على انتياشكم من فتنة قد أنافت عليكم**"[٥٩].

٥٣ عبدالجليل، حسني أساليب الاستفهام في الشعر الجاهلي، ط١ (مؤسسة المختار، ٢٠٠١)، ٧.
٥٤ الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي ابن بابويه القمي .كمال الدين وتمام النعمة (مكتبة الصدق، د.ت.)، المجلد٤ / ٤٨٣.
٥٥ المخزومي، مهدي . في النحو العربي نقد وتوجيه، ط٢ (بيروت: دار الرائد العربي، ١٩٨٦)، ٢٤٦.
٥٦ صادق، مثنى كاظم. أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي (تنظير وتطبيق على السور المكية)، ط١ (لبنان: منشورات ضفاف، ٢٠١٥)، ١٠٩.
٥٧ السعيدي، "إستراتيجيات الإقناع في رسائل نهج البلاغة: مقاربة في التأثير،" ١٨٨٩.
٥٨ المطعني، عبد العظيم إبراهيم محمد. خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، ط١ (مكتبة وهبي، ١٩٩٢)، ١/ ٢٠٨.
٥٩ الطبرسي، الاحتجاج، تحقيق. محمد محمد باقر الخرسان، د.ط. (النجف: المطبعة المرتضوية، ٢٠١٦)، ٢/ ٣٢٣.

يتوجَّه الإمام إلى شيعته بآليَّة حجاجيَّة لغويَّة قوامها فعل الأمر: "واتَّقوا الله"، وهي عبارة تناص من القرآن الكريم؛ إذ قال تعالى: ﴿**فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ**﴾ (**التغابن: ١٦**)، ساعيًا بذلك إلى التوجُّه بالأمر المباشر إلى المتلقِّين بتقوى الله، ومعاونتهم (بخلق القابليَّة في نفوسهم) لإنقاذهم من الفتن التي أشرفت أو أقبلت عليهم؛ وفي ذلك خطاب عاطفي يظهر حرص الإمام عليه السلام على شيعته وخوفه عليهم من الضلال والوقوع في الفتن والبعد من التقوى.. والأخير "إنَّما يتحقَّق بالجري على ما يريده ويرتضيه فهو امتثال أوامره تعالى، والانتهاء عن نواهيه، والشكر لنعمه، والصبر عند بلائه.. وبالجملة تقوى الله سبحانه: أن يطاع ولا يعصى ويخضع له فيما أعطى أو منع"[٦٠].

اتَّخذ الإمام من بناء نظم أحد توقيعاته إستراتيجيَّة ترمي إلى إقناع المرسَل إليه بمجموعة من الطروحات الفكريَّة، أو الرؤية المحدَّدة تجاه صفات أنصار الإمام عليه السلام، وهي من الوسائل الَّتي تدعو إلى ترسيخ العقيدة الَّتي لا يمكن دحضها أو الشكّ بها بحسبان أنَّها ثابتة بلوازم اللُّغة اليقينيَّة الَّتي يتحدَّث بها الخطيب، وممَّا قال في وصفه أنصاره من شيعته: "**مقدّسة قلوبهم من دنس النفاق، مهذَّبة أفئدتهم من رجس الشقاق، لينة عرائكهم للدين، خشنة ضرائبهم عن العدوان، واضحة بالقبول أوجههم، نضرة بالفضل عيدانهم، يدينون بدين الحقّ وأهله**"[٦١].

يُحسن الإمام عليه السلام ترتيب الحجج، إذ يضع كلّ منها في مكانها المناسب ما يمنحها فاعليَّة خاصَّة، كما يُعبِّر عنها بالأسلوب المجازيّ الأمثل القادر على حملها مضامين تترك تأثيرها في المتلقِّي شعورًا وعقلًا.. ولم يغفل الخطيب عن توظيف الجمال الأسلوبيّ؛ إذ وظَّف التوازي التركيبيّ (الصيغة الصرفيَّة) بين العبارات، ما خلق جرسًا إيقاعيًّا، تواءم والمعاني الَّتي تحملها العبارات في دعوتها إلى الخير والصلاح وتهذيب النفس عن الخطايا..، ويمكن التعبير عن هذا السلم الحجاجيّ على وفق الآتي:

٦٠ الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج٣/ ٣٦٧.
٦١ المجلسي، بحار الأنوار، ٣٦.

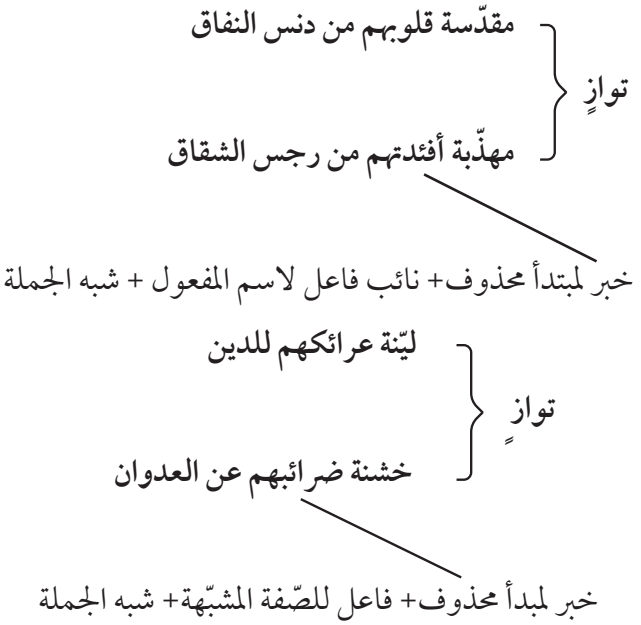

فضلا عن تنويعه الظّواهر الأسلوبيَّة: **الجناس** (النّفاق/ الشقاق)، و**الطّباق** (ليّنة/ خشنة)، و**الترادف** (قلوبهم/ أفئدتهم)،(دنس/ رجس)، و**الحذف في العبارات كلّها**.. **والتقديم والتأخير** (نضرة بالفضل عيدانهم: تأخير شبه الجملة)، مع ما تؤدّيه الظواهر الأسلوبيَّة من دور فاعل في العمليَّة الحجاجيَّة، إذ إنَّ " الأسلوب "حامل" في حدِّ ذاته "حجاجًا"[٦٢]، فضلًا عن توظيف **الصور** ومنها الكناية، والاستعارة (دنس النفاق، رجس الشقاق)، والصورة في الخطاب الحجاجيّ.. أدلَّة تواصل وإفهام بالدرجة الأولى وتضطلع بوظيفة حجاجيَّة[٦٣].

٦٢ بن يحيى، الطاهر. الخطابة العربية القديمة، أصولها النظرية وأبعادها التداولية وأشكالها الحجاجية، ط١ (بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٠٢٣)، ٥٥٩.

٦٣ ابن يحيى، ٥٥٧_ ٥٥٩.

الخاتمة

نخلص إلى أهمِّ النّتائج الَّتي يُمكن تلخيصها في النقاط الآتية:

١. مثّلت الأدوات الإقناعيَّة في أقوال الإمام المهدي ﷺ بنية حجاجيَّة، تتّكئ سياقيًّا على **استمالات عاطفيَّة وحجج عقليَّة**، لتؤسِّس قناة تواصليَّة بين الخطيب (المرسِل) والمتلقِّي، لاستمالته نفسيًّا وفكريًّا.

٢. هدفت أقوال الإمام ﷺ بوصفها خطابًا حجاجيَّة، إلى مخاطبة المتلقِّي واستمالته، لتحقيق عدّة غايات، منها: **ترك الضلال، والانقياد إلى طريق الحقِّ والهداية، والدعوة إلى الصلاح وتهذيب النفس**.

٣. مثَّلت طروحات الإمام ﷺ بدائل سياقيَّة لمرحلة دقيقة سياسيًّا ودينيًّا، فتوسَّلت الأدوات الحجاجيَّة الإقناعيَّة لهدم الأنماط والأحكام القائمة في المجتمع، واستبدالها بأخرى تخدم توجُّهاته، ومنها تكذيب **مدَّعي الإمامة في عصره، والرّد على من ينكر إمامته وغيبته**.

٤. اعتمد الخطيب إستراتيجيَّة تضمَّنت استدعاء القرآن الكريم بوصفه لغة المُخاطَب وثقافته، وبحسبانه يرتبط بالمقدَّس لديه، وهذا الأمر أقرب إلى التأثير به في الإقناع والفهم.

٥. اعتمد الخطيب إستراتيجيَّات متنوِّعة، فضلًا عن توظيف الأفعال الكلاميَّة، ليُحقّق أثرًا تداوليًّا، هدفه إيصال أغراض الخطيب في النصح والإرشاد، وتعبئة المتلقِّي فكريًّا ضمن المنظومة العقائديَّة لأهل البيت عليهم السّلام، ومن هذه الأغراض: **التسليم لإمام العصر والزّمان، وانتظار الفرج والظهور**.

٦. مثّل الإقناع البلاغيّ سمة بارزة في أقوال الإمام المهدي ﷺ، فغدت خطابًا مجازيًّا تحمل طاقة حجاجيَّة ذات وظائف تأثيريَّة في المتلقِّي، بخاصَّة أسلوبي التشبيه والاستعارة.

٧. اعتمد الإمام ﷺ تراكيب لغويَّة بليغة وأساليب تعبيريَّة وظواهر أسلوبيَّة، تنوَّعت بين القسم والدّعاء والنّداء والنّفي والقصر، والحذف، والتّقديم والتأخير، والتّوازي التّركيبيّ..

توصيات

هذا وتوصي الدراسة بتكثيف العناية بأقوال الإمام المهدي ﷺ على وفق الدرس الحجاجيّ على الرغم من قلّتها؛ بحسبانها خطابًا حجاجيًّا قائمًا على الإقناع والحوار والموعظة الحسنة، بعيدًا من الإكراه والقسر والإجبار.

المصادر:

القرآن الكريم

ابـن الأثـير، ضيـاء الديـن. المثـل السـائر في آداب الكاتـب والشـاعر. تحقيـق أحمـد الحـوفي وبـدوي طبانـة. ط٢. الريـاض: دار الرفاعـي، ١٤٠٣هـ.

ابـن منظور. لسـان العـرب. د.ط. بيروت: دار صـادر، د.ت.

الجابـري، مُحَمَّـد عابـد. الخطـاب العـربي المعـاصر، دراسـة تحليليـة نقديّـة. د.ط.، د.ت.

الخوارزمـي، مُحَمَّـد بـن أحمـد بـن يوسـف. مفاتيـح العلـوم. تحقيـق إبراهيـم الأبيـاري. ط٢. دار الكتـاب العـربي، د.ت.

السـبعاوي، طـه عبـد الله مُحَمَّـد. أسـاليب الإقنـاع في المنظـور الإسـلامي. ط١. بـيروت: دار الكتـب العلميـة، ٢٠٠٥.

السـعيدي، بشـار معلـوف طعمـة نعمة. "إسـتراتيجيات الإقنـاع في رسـائل نهـج البلاغـة: مقاربـة في التأثـير." مجلـة الدراسـات المسـتدامة ٥ (٢٠٢٣).

الشـاكري، حسـين. المهـدي المنتظـر، القسـم الثـاني، موسـوعة المصطفـى والعـترة (١٧). مركـز الدراسـات التخصصيـة في الإمـام المهـدي عجل الله فرجه، ٢٠١٣. https://m-mahdi.net/main/books-174.

الشـبعان، عـلي. الحجـاج والحقيقـة وآفـاق التأويـل (بحـث في الأشـكال والاسـتراتيجيات). ط١. دار الكتـب الجديـدة المتحـدة، ٢٠١٠.

الشريـف الـرضي، مُحَمَّـد بـن الحسـين. نهـج البلاغـة لأمـير المؤمنـين عـلي بـن أبي طالـب(ع). شرحـه مُحَمَّـد عبـدة مفتـي. بـيروت: دار المعرفـة للطباعـة والنـشر، د.ت.

الصـدوق، أبـو جعفـر مُحَمَّـد بـن عـلي ابـن بابويـه القمي. كـمال الدين وتمـام النعمـة. مكتبة الصـدق، د.ت.

الصديق، حسين. المناظرة في الأدب العربي الإسلامي. ط١. بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، ٢٠٠٠.

الطباطبائي، مُحَمَّـد حسـين. الميـزان في تفسـير القـرآن. ط١. بـيروت: منشـورات مؤسسـة الأعلمـي للمطبوعـات، ١٤٢٧هـ.

الطبرسي. الاحتجاج. تحقيق مُحَمَّد مُحَمَّد باقر الخرسان. د.ط. النجف: المطبعة المرتضوية، ٢٠١٦.

الطـوسي. الغيبـة. ط١. قـم المقدسـة: مؤسسـة المعـارف الإسـلاميّة، ١٤١١هـ.

العبـد، مُحَمَّـد. "النـص الحجاجـي العـربي." مجلـة فصـول للنقـد الأدبي، العـدد٦٠.(٢٠٠٢).

العـزاوي، أبـو بكـر. العمـدة في الطبـع. ط١. الـدار البيضـاء، ٢٠٠٦.

العلي، امتثال شهيد جاسم. "حجاجية الصورة البيانية في توقيعات الإمام المهدي دراسة تطبيقية." دراسات إسلامية معاصرة، العدد٣٧. (٢٠٢٣).

العمري، مُحَمَّد. البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول. ط٢. الدار البيضاء: أفريقيا الشرق، ٢٠١٢.

الفـيروز آبـادي. القامـوس المحيـط. تحقيـق الـتراث في مؤسسـة الرسـالة. ط٨. بـيروت: مؤسسـة الرسـالة للطباعـة والنـشر، ٢٠٠٥.

اللبـدي، مُحَمَّـد سـمير. معجـم المصطلحـات النحويـة والصرفيـة. د.ط. الجزائـر، د.ت.

المالكي، ابـن الصبـاغ عـلي بـن مُحَمَّـد. الفصـول المهمـة. تحقيـق سـامي الغريـري. ط١. قـم: مؤسسـة دار الحديـث الثقافيـة، ١٤٢٢.

المجلسي، مُحَمَّـد باقـر. بحـار الأنـوار. بـيروت: مؤسسـة المعارف الإسـلامية، ١٩٨٣.

المخـزومي، مهـدي. في النحـو العـربي نقـد وتوجيـه. ط٢. بـيروت: دار الرائـد العـربي، ١٩٨٦.

المرسـومي، رعـد. "كيـف تكـون النجـوم أمانـا لأهـل السـماء في قـول الحجـة(ع): إني أمـان لأهـل الأرض كـما أن النجـوم أمـان لأهـل السـماء؟." مركـز الرصـد العقائـدي، ٢٠٢٢. https://alrasd.net/arabic/islamicheritagee/3449.

المطعنـي، عبـد العظيـم إبراهيـم مُحَمَّـد. خصائـص التعبـير القـرآني وسـماته البلاغيـة. ط١. مكتبـة وهبـي، ١٩٩٢.

الميانجـي، عـلي الأحمـدي.، مكاتيـب الأئمـة. تحقيـق ومراجعـة مجتبـى الفرجـي. شـبكة الفكـر للكتـب الالكترونيـة، د.ت.

بصـل، مُحَمَّـد إسـماعيل. "أدوات الإقنـاع العقـلي والعاطفـي: خطبـة عبـدالله بـن يحيـى زعيـم الإباضيـة لما اسـتولى عـلى اليمـن أنموذجـا." مجلـة تشريـن للبحـوث والدراسـات العلميـة المجلـد٣٩، العـدد٦. (٢٠١٧).

ابـن فـارس، أبـو الحسـين أحمـد. مقاييـس اللغـة. تحقيـق عبـد السـلام مُحَمَّـد هـارون. د.ط. بـيروت، لبنـان: دار الفكـر، ١٩٧٩.

ابـن يحيـى، الطاهـر. الخطابـة العربيـة القديمـة، أصولهـا النظريـة وأبعادهـا التداوليـة وأشـكالها الحجاجيـة. ط١. بـيروت: المركـز العـربي للأبحـاث ودراسـة السياسـات، ٢٠٢٣.

جمعيـة المعـارف الإسـلامية. "أمـل الإنسـان: الإمـام المهـدي ﷺ في الفكـر الإسـلامي الأصيـل." بـيروت، ٢٠١٦. https://books.al-maaref.org/view.php?id=459.

حسـيني، مختـار. "الحجـاج اللغـوي بـين النظريـة والتطبيـق آيـات مـن سـورة آل عمـران أنموذجـا." ضـاد مجلـة لسـانيات العربيـة وآدابهـا المجلـد١، العـدد٢. (٢٠٢٠).

خطـابي، مُحَمَّـد. لسـانيات النـص مدخـل إلى انسـجام الخطـاب. المركـز الثقـافي العـربي، ١٩٩١.

درويـش، مُحَمَّـد طاهـر. الخطابـة في صـدر الإسـلام " العـصر الدينـي عـصر البعثـة الإسـلامية." ط٢. مـصر: دار المعـارف، ٢٠٠٧.

رسـن، فاطمـة كريـم. "اسـتراتيجية الحجـاج في خطبـة السـيدة زينـب عليهـا السـلام في الشـام." مجلـة الكليـة الإسـلامية الجامعـة المجلـد٤، العـدد٤٣. (٢٠١٧).

شـارودو، باتريـك، ودومينيـك مانغـو. معجـم تحليـل الخطـاب. ترجمـة عبدالقـادر المهـيري وصمـود حمـادي. د.ط. تونـس: دار سـيناترا المركـز الوطنـي للترجمـة، ٢٠٠٨.

صـادق، مثنـى كاظـم. أسـلوبية الحجـاج التـداولي والبلاغـي (تنظـير وتطبيـق عـلى السـور المكيـة). ط١. لبنـان: منشـورات ضفـاف، ٢٠١٥.

صالحـي، عبدالـرزاق. الحجـاج بالتشـبيه في القـرآن الكريـم، العـدد ١٢، ٢٠٢٣.

صليبـا، جميـل. المعجـم الفلسـفي بالألفـاظ العربيـة والفرنسـية والإنجليزيـة واللاتينيـة. بـيروت: دار الكتـاب اللبنـاني، ١٩٨٢.

عبدالجليـل، حسـني. أسـاليب الاسـتفهام في الشـعر الجاهـلي. ط١. مؤسسـة المختـار، ٢٠٠١.

عبدالرحمـن، طـه. اللسـان والميـزان. الـدار البيضـاء: المركـز الثقـافي العـربي، ١٩٩٧.

عكاشـة، محمـود. دراسـة تطبيقيـة لأسـاليب التأثـير والإقنـاع الحجاجـي في الخطـاب النسـوي في القـرآن الكريـم. ط١. القاهـرة – مـصر: دار النـشر للجامعـات، ٢٠١٤.

مجلة بقية الله. "العدل المنتظر: مقالات مهدوية." مكتبة المعارف الإسلامية، ٢٠٢٢.

مصطفى، معتصم بابكر. من أساليب الإقناع في القرآن الكريم. نشر ضمن سلسلة الأوقاف والشؤون الإسلامية. ط١. قطر، ٢٠٠٣.

ناصر، عمارة. الفلسفة والبلاغة مقاربة حجاجية للخطاب الفلسفي. ط١. الجزائر: منشورات الاختلاف، ٢٠٠٩.

ناصري، فضيل. "الحجاج في القرآن الكريم." مجلة آفاق أدبية، العدد١٥.(٢٠٢٣).

هلال، هيثم. معجم مصطلح الأصول. ط١. بيروت: دار الجيل، ٢٠٠٣.

يعقوب، إبراهيم. الاتصال الإنساني ودوره في التفاعل الاجتماعي. ط١. الأردن: دار مجدلاوي، ١٩٩٣.

Reboul, Olivier. Introduction à La Rhétorique. T2 ed. Paris, 1994.